العدد (1652) السنة السابعة - الاربعاء (11) تشرين الثاني 2009 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

سيدة النار والليل

الى شاعرة.....

ياسين طه حافظ

لك أن أبتدي بكتابة سيرتك الغامضة
أقتفي :
وهَجَات الضياء الذي يترامى كريش الطواويسِ
تنثره خطواتُك حين تمرّ بذاكرتي
وانكسارَ المسَاءات فوق نوافذ مغلقة
ومرورَك كالظل فوق حشائش مصفرّة
تتحاشينَ أوجاعهَا
وأميل على سندَ لأتابع خطوك ساهيةً في الطريق
ولا شيءَ غير الشَّوائب، تستذكرين النهار وما فيهِ،
وجهك ظلّهُ الغيمُ،
حتى إذا لاحتِ البابُ، ينحسِر الغيم عنه
وتشرق وردتُه في الوصول .

كنتُ أبعد من هذه، كنت في حرج الانعطاف المهينِ،
وحين ابتدأت كتابَة هذي الفصول،
كلِ المرور توقف لحظتَها إذ عبرت
وأعجب صادف وسط الدخان عبوري!

كَيف يجتاز قلبي خنادِق مملوءةً بحطام معاركِ خاسرة
كيف أمضي بأروقةٍ أطفئَتْ من زمانٍ، فَلا عالمٌ أقتفيهِ؟
ولا أنت أوقدت ضوءاً لأدنو–
(الرسائل تطفَو
ووجهك يأخذ فيهِ الشحوبُ مقرّاته..)
ويشاغَلني الحبُّ، يكلمني في الرخَام الصقيل
يقبّلُهُ المطر الحلوُ،
اهجسهُ يوقظُ أحزانك الحفراتِ
واسمع ما بين حين وَحين
خطاباً خفيّاً يُضيء ممراتِ روحي
(التفاصيل مربكة لهدوئكَ، سيدتي، انا مثلك اجهل كيف
تتم الاقاصيص، اعجب اني ارى الحب مكتمل الزهر،
سيدتي، خلّني أكمل الكلام :)
فأنا كل ليلَ أراك
من الباب للنار وَالنار للباب، خطوك
يأتي ويمضي، الجمال الذي حجبتهَ الكآبةُ
يأتي ويمضي، وشال حرير هو الحزن يغفو
على كتفيك..
تأتين تمضَين وحدك في البيت...، هذا الشقاءُ
الذي ليس يُعلنُ أكشفهُ من وراء المفاخر والزهو
أكشفه للحياة، فأني هنا ، مهنتي
أجمع الومضَ
أجمع ما يتساقط من ورقٍ
استعيدُ مواسمَهُ
ومن الباب للنار والنار للباب تأتي وتذهب
سيدة النار والليل ....، لا سرَّ بعدُ
فدفتر أيامك يُلقيَ عواطفهُ خِلسَة
في التلفت،
او في ارتعاشة كفكِ تمسح واهنةً قطراتِ المطرْ

قد أضلّك ظنٌّ أضلَّ سواك، الغناء الحزينُ
يمرُ بزيتَونة الباب، يأتي لَنافذتي ويمسُّ
يديَّ، يمرُّ على مكتبي وسريري .. فلا سرّ بعدُ
أنا في كل ليل أتابع خطوك عائدةً في النهارْ،
أتأمّل تلك التيَّ تستدير الىَ بيتها
ظلّ ماض نسيتُ وأت تمنيتُ يلتقيانِ
عليها فتَولج في غيمةً من ظلال.
رأسُها ينحني
عبءُ شعْر، أسى عالم مُكره،
وجعٌ آخرٌ (التفاصيلُ متعبَةٌ)
تعبر الان، مفردةً في الطريَق وتدخلُ
في بيتها الموصلي..
ويبقى الرخامْ
وتبقى الارايل عريانةً في الفضاء
وتبقى الستائرُ مُسْدَلةً
وعلى الشرُفات ينام الحمامْ.

هو ذلك بيتك سيدتي
وهي تلك الحياة النبيلة وسط الزحام محَيَّرةُ
لا خيار سوى يَبَس الشفتينِ،
شجيُّ كتابُ الحياة.

هذه صفحة ربما هي طارئة وتثيرُ ارتيابك،
ربما لا ترين بها عجباً، فهي كل الذي تترَك
الروح من إرثها.
صفحةٌ خالية
جمعت وهجَيْن وما التقيا مرةً خارج الشعرِ
الا لكي يوقدا الضوءَ في الساحة الخاوية
فأنا في المساء المَغيم أتابع ايماضةَ الروحِ
بين يديك وأقرأ ما تكتبينهُ،
حرفاً مضَيئاً وحرفاً يضيّع اسرارهُ
ليظل بعيداً عن القبضة اليابسة.

كانت الريحُ سيئةً،
ما تزال كما كانت الريحُ، سيئةً
وكلانا بلا موعد نبدأ العدَّ منتظرينَ
انكسار الشتاء، لكنها
ظلمات البلاد الفقيرة، لكنها
ظلمات البلاد التي لا تفارقُها في الصباح التفاهةُ،
لكنها
الاوجُهُ المستطيلةُ والحدقُ الدائرة.
وأنا أتسلّل عبر قذارة تاريخهم
ورثاثة ما أنتظر،
لأرى شعلةَ الله تخفق في الغيم قبل انطفاء
اشارتها ..

بدأ الحبُّ حين الحياة مطارَدَةٌ
والكلابُ تَشَمَّمُ أردانَنا
والعيون حديديةٌ تتفرّسُ، تأخذ من وجهنا
عيّنات،
ولكنهًا رحلة الروح، حجٌّ الى زمن آخر
والصراط المخيفُ يولول من تحتَ أقدامنا.

أنت كنت محجَّبةً بتُقىً خافت
وظَلال مَن الشعْر ساكنة
وأنا لأ أرى غير لمْع بعيدً
وعارٍ، كما الله، مصَباحٌ روحي في النوءِ
لا أحَدٌ في الخرابْ
يعرف من يتلقّى اشاراته،
أي ريح ستطفؤهُ،
أيما حجرٍ....،

ومن البابِ للنار والنار للباب، كان الجمالْ
قلقاً (قصةٌ صعبةٌ)
وأنا أعبر هذا الممرَّ المدجّجَ، لم أغفل المسأله
لأصارحك الان: يوجع قلبيَ هذا
العزوفُ عَن "الله" لله..،
هل تفهمينْ؟
لا أريد لنارك تُطْفَأُ قتلاً بكلتا يديكِ، ألا تسمعين
صراخَ الطيورْ؟

الظلام كبيرٌ وليس سوى شعلةٍ
من بعيد تلوّحُ مُنْقذَةً
والغريقُ الوحيد يَمد يداً من رداءات عالمهِ،
يستجيرْ

احلمي احلمي، ليس غير الحلُمْ
وسوى الباب والنار... تمضين تأتين
أسلمت روحَك للريح، أسلمت أجمل كل الهدايا
وأبقيتَ للارضَ هذا الجسدْ
يستريحُ على وجعٍ.. ويحوّمُ فوق نعومته
زمنٌ خشنٌ ووجوهٌ ملطخةٌ دَبَقاً وغثاءً..،
تكومتُ حزناً على وهجٍ ضاع كالماء
غيّبَ صيحتَهُ وانتهى

هو ذاك الخسارْ
وهو ذاك الطريق الذي أنا أخطأتُ فيهِ
وكررته، خطأ!
هو شأنُ المحبة سيدتي، أعرف أعرف،
لكنها قصة قاسيه!
كم تمنيتُ أني أراكِ، وفي خلوة الروح،
حين الضياء يشعُّ ويسطع من مرفقيكِ
وحين تحط الرسوم وتأتمنين الحروفَ على
الوردة الباقيه.

وَحَلٌ حول وردتنا، انما انبثقت
تتلألأ من رغوة للمهانة سوداءَ،
تبشّرُ في مقدمٍ للبساتين
وان الطريق يغادر هذيَ المقابرَ....،
لكنني قلتُ:
ان الطريق الى الله قد أغلقتهُ القمامةُ من زمنٍ،
قلت: ان الفنارات مابين أكواخنا
والفَنارات بين الاكفّ التي تَعبَتْ والغضونْ!
وعجبتُ لهذي الطفولة صافيةً
ولهذا السلام المنيرْ.

لك أن أبدأ هذا الغناءَ بمجدكِ،
لكَنني مُعوزٌ للفرحْ
معوزٌ لعناقَات أحرفُك العَطشاتْ،
معوزٌ لابتسامتك المسَتظلةَ بالحذر الحلو،
يوقفها عاصفٌ أول الحقلَ، أولِ بَدء الكَلامْ .
هكذا الامنيات تغادرُنا
هكذا تتعثرُ أقدامنا بالضياء
هكذا كنتُ أقرأ وجهك ثم أعودْ
أتأمّلُ هذي الحياة ورأسيَ ممتلئٌ بالرثاءْ.

متوحشةٌ وتهدّد وجهي تضاريسُ هذا النهارْ
وأنا قبل ان افتح البابَ أودعتُ هذي الحقائقَ،
أودعتُ آخر ما صنتهُ من وثائق روحي—
الكلابُ مدرّبةٌ
هي تقرأ أوجهَنا مثلما نقرأ نحنُ الجرائدَ،
هذي الحياة التي نحن نحيا!
أنا اعرفها مثلما اعرف ذاك المذاقَ البنيلَ
وراء عبارتك الموجزه
والجمال الحَزين يمدّ شعاعاً ويقطع خيطَ
المرارة مابيننا
فنواصل في صمتنا الاعترافْ.

أنتِ تصغين لي شبهَ غاضبةٍ،
أو مُعاتبَة،
ربما أنتَ آسفةٌ أن نرى
كل هذيَ التعاسات في ليلنا
ونزينُ أشعارنا بشظايا النهارْ!
ذلك ما يدفع الليلَ عن شفتيّ ويوقدُ فيَّ
مصابيحَ شعري
وذلك يرسم أنك قرّبت روحي اليكِ
وأنّا معا نُعْلنُ السَخطَ
ونوقد شعلتنا في الحياة!

حولنا الموتُ والارض مسلوخة الجِلْد
ولا شيء في الريح الا زعيق الرصَاصَاتِ
تمرق من فوقنا
وكأنك لا تسمعين الرداءةَ أو لا ترينَ
الوجوهَ الحقيرةَ معقوفةً نحو أبوابنا،
يُشرق وجهك مبتسماً
ويلامسُني نَاعم الخفق صوتُكِ،
يكشف لِي عن محبتِه
والحقول مدمرةٌ
والسواقي هياكل يابسةٌ تتشقق أكنافُها
وأرى الناس يسّللون خيوط دخانْ ..

وسْطَ هذا الدمارْ
والنوافذ مدفونةٌ في الشتاء ،
أحسّ ربيعاً يلامس روحيَ ،
أحسُّك ،
زنبقةَ الثلج ،
مدثّرَةً بالبياضْ
وقصيدتُك الذهبيةُ
قابعةٌ بانتظَارْ

ما استطعت ثناءً يليق بمجدك ،
أربكني زمنٌ مثقل بالحوادثَ تُعولُ حولي قطاراتُهُ.
ما تزال المسافة موحشةً بيننا
وأنا ألعق الكَدَمات التي خلّفَ العمرُ ،
تلك التي ليس تشفى
وأشاغل روحي فارسم غصناً على ظهر زهريةٍ
ثم اسأل نفسي : متى يُطلعُ الغضُ وردتَهُ ؟
ومتى هي تندى ؟
قصة حبٍ محيّرةٌ هذه
لستُ اعلمُ، هل تعرفين نهايتَها؟

ليكن ما يكون
فأنا اخترتُ ما كلُّ منتبه سوف يختارُهُ
هو ذاك الجمال البعيد الّذي لا يُرى
في حديقتك الساكنه
هو ذاك الّذَي انتظرَتْهُ حشودٌ من البشرِ،
افترقوا بعد أن تعبوا
وأنا واحد بعدهم ينتظر!

اسمع الآن هذا السؤال يقرّعنى البائع المتجوّل فيهِ:
لماذا أراكِ هنا
والحديقةُ مغلقةٌ
والظلامُ دنا؟
ذلك ما يحزن الروح سيدتي:
الحديقة مغلقة
والظلام دنا ...

وسط حضور جماهيري كبير...

إفتتاح فعاليات مهرجان كلاويز الثقافي الثالث عشر

بشار عليوي
السليمانية

تحت شعار " الرؤى المُختلفة... نحو الإبداع " إنطلقت صباح يوم أمس فعاليات (مهرجان كلاويز الثقافي) في دورته الثالثة عشر للفترة من ١٠_٢٠٠٩/١١/١٥ في مدينة السليمانية _ إقليم كردستان العراق، بمُشاركة أكثر من ١٧٠ من الأدباء من داخل العراق وخارجه .
حيث شهدَ حفل الإفتتاح الذي أُقيم على قاعة (تواَر) في السليمانية حضور السيد " ملا بختيار " مسؤول مكتب المنظمات الديمقراطية في الإتحاد الوطني الكردستاني، ثم أستهلت فعاليات الحفل بالوقوف دقيقة صمت أجلالاً لأرواح شهداء العراق وكردستان، ثم ألقى " ياسين فقي سعيد " مُدير مركز كلاويز الثقافي والأدبي كلمة ترحيبية جاء فيها (يبدأ مهرجان كلاويز بإيقاد شمعة جديدة في عالم الأدب والفكر في كردستان.

فمرة أُخرى تستقبل مدينة السليمانية ضيوفها الكرام القادمين من جميع أنحاء العالم مُحتضنةً لغات ومُعتقدات وأفكاراً مُختلفة.
إنهُ تجمع عُشاق الكلمة والسفر السحري للأدب. في مهرجان كلاويز ترقص الكلمة وتلمع الصور الشعرية في السليمانية عاصمة الثقافة والتنوير والفكر والأدب لكُردستان، فقد أصبح هذا المهرجان تقليداً سنوياً ينظمهُ مركز كلاويز كُل عام)، ثم ألقيت كلمة السيد رئيس حكومة إقليم كُردستان العراق، ألقاها نيابة عنهُ السيد " هادي محمود " وزير الثقافة في حكومة إقليم كُردستان جاء فيها (نُرحب أجمل ترحيب بضَيوف كُردستان الأعزاء، من الأدباء والمُفكرين من داخل العراق وخارجه.
مرحباً بكم في مهرجاننا العتيد والذي نتمنى لهُ دوام النجاح وهو يجمعكم ضيوفاً أعزاء في كُردستان).
بعدها ألقى السيد " ملا بختيار " المُشرف العام على المهرجان كلمة إرتجالية جاء فيها (هذه السنة الثالثة عشرة التي يُنظم فيها مركز كلاويز الثقافي والفني مهرجانهُ السنوي في عاصمة الثقافة والتنوير في كُردستان " مدينة السُليمانية " التي ومُنذ تأسيسها عام ١٧٨٤ من قبل أمراء آل بابان، إشتهرت بالثقافة والتنوير حيث كانت عاصمة لأول ملك كُردي هو الشيخ محمود الحفيد عام ١٩١٨ ولاتزال هذه المدينة تسير في الطريق ذاته حين إنتهجت النهج الثقافي لتكون دائماً مركزاً للثقافة والتنوير. إن أجمل تعريف لمهرجان كلاويز، هو أنهُ المهرجان الذي مضى على إقامتهِ ثلاثة عشر عاماً مُنفتحاً على الأُدباء والكُتاب العرب والإيرانيين والكلدو آشوريين وكذلك الأجانب، حين إحتضنهم بشوق عارم)، بعدها ألقى الشاعر الكُردي الكبير " شيركو بيكه س " قصيدة بعنوان (أهلاً... كلاويز... أهلاً)، ثم إعتلى المنصة الشاعر العراقي المُغترب " مُنعم الفقير " مُلقياً قصيدته التي تعنونت بـ(وطن)، كما ألقى الشاعر الأيراني " شَمس لنكرودي " قصيدة بالمُناسبة.

كما تضمن حفل الإفتتاح عرضاً لفيلم وثائقي خاص عن مُجمل فعاليات ونشاطات المهرجان في دوراته السابقة، ومن ثم أُختتم الحفل بتقديم معزوفات موسيقية من الفلكلور الكُردي، قدمتها فرقة التراث الكُردي الموسيقية.
وفي مساء اليوم الأول أفتتح (معرض الصور الفوتوغرافية) الذي ضم أعمالاً لمجموعة من المصورين الأيرانيين، حيث قامت بإفتتاحه الناقدة "د. بشرى موسى صالح"، تلاهُ إفتتاح "معرضَ الكتاب الشامل" في المكتبة العامة بمدينة السُليمانية، والذي تُقيمة (دار المدى للثقافة والفنون والآداب) بالتعاون مع مركز كلاويز الثقافي والفني. حيث قامت الأديبة الإيرانية " بهاره رضائي " بإفتتاحه.
يُذكر أن المهرجان سيتضَمن محاور عدة منها إقامة جلسات شعرية ومسابقات أدبية وجلسة خاصة بالأدباء الفرنسيين وكذلك السريان والإيرانيين مع محور خاص بالتجربة النقدية للناقد " فاضل ثامر " يشترك فيها عدد من الأدباء والنُقاد.

اوراق

في العنْونة

محمود عبد الوهاب

قد لا يثير العنوان إلاّ عدداً محدوداً من القرّاء، فمعظمهم يرى في العنوان اسماً خاصاً يُميِّزُ به كتاب أو نصّ من غيره. كانت دراسة العنوان، حتى مطلع القرن الماضي، تقتصر على جملته اللغوية التي توضع على غلاف الكتاب أو تعتلي نصاً من النصوص، وغالباً ما كان الكاتب أو الشاعر يسعى إلى عنوان جماليّ من دون اهتمام بدلالته، يلتقط عنوانه باعتماد ذائقته وحدسه وحسّاسيته،وأكثر ما كان يحصل ذلك عند الكتّاب الرومانسيين. ظلّ مفهوم العنوان بمعزل عن مُعنوَنه كتاباً أو نصاً، لا يدخل ضمن سياقاتهما إلاّ في حالاتَ محدودة، وأغلب ما يكون ذلك في السياقات البلاغية واللغوية، فالوعي بالعنوان لم يظهر إلاّ متأخراً ضمن معطيات المنهجيات النقدية الحديثة، وكان طرفا التواصل: المبدع والمتلقي، كلاهما لا يلتفتان إلى وظيفة العنوان في إنتاج الدلالة،فلم يكن العنوان، في وعيهما المعرفي، أحدى شفرات النص الذي تنطوي عليه موجِّهات فعل القراءة والتأويل.
توسّعَ مفهوم النصّ في العقود الأولى من القرن الماضي، وعملت الدراسات السيميولوجية على الحفر في منابت العنوان تفكيكاً وتركيباً، بوصفه نصّاً موازياً للنص الرئيس، ومن أجل تحديد بنيات النص العميقة الثاوية تحت بنياته السطحية، بحثاً عن جواب السؤال الجوهري التالي: كيف قال النصّ ما قاله؟. ضاعفت الدراسات السيميولوجية اهتمامها بالعنوان، مصطلحاً إجرائياً ومفتاحاً أساسياً، للدخول في شبكة النص وأغواره، قصد استنطاقه وتأويله وإضاءة المعتم من جوانبه. قراءة العنوان سيميولوجياً تعني البحث عن دلالات العلامات داخله: العلامة اللغوية، والعلامة اللالغوية/الإيقونة، العنوان الفرعي، تجنيس الكتاب، الإهداءات. هذه العلامات ينبغي أن تُكشف دلالاتها وتُحال إلى ما تعنيه في إشاراتها إلى الكتاب أو النصّ. على غلاف كتابه (وجع الكتابة) للروائي مهدي عيسى الصقر، صورة المؤلف وهو يضع كفّه اليمنى على جبينه. الصورة/الإيقونة، في علاقتها المكانية بـ (وجع الكتابة) تعني أن المؤلف يحمل همّاً أو قلقاً أو تأمّلاً، ولو كانت علاقة الصورة نفسها بمكان آخر، صيدلية أو مستشفى مثلاً، لاكتسبت دلالة مغايرة للأولى، ولكانت تعني أن صاحبها في الصورة، يعاني صداعاً أو غيره. المسألة لا تقف عند هذا الحدّ، ينبغي لقارئ العنوان أن يُحيل تأويله لمفهوم الإيقونة (الهمّ، القلق، التأمّل) إلى مرجعها العنوان اللغوي. الصورة إذن دلالة إضافية إلى (وجع الكتابة)، فالإيقونة هنا تتضامن مع العنوان اللغوي، وتنضمّ إليه في تأسيس كثافة علاماتيّة لدلالة العنوان. تعمل السيميولوجيا ذلك، لأنها ترى أن للعنوان، بأنماطه المختلفة، وظائفَ أساسية ترتبط بالقارئ، فالعنوان رسالة تواصلية ومعرفيّة وجمالية، تصدر عن الكاتب (المرسل) إلى القارئ (المرسَل إليه)، يستقبلها القارئ ويعملَ على تفكيكها، واستنطاقها بلغته، ويُحيلها إلى مرجعياتها كتباً أو نصوصاً، لإنتاج الدلالة.
يقصر(جون كوهن) وضع العنوان على النص النثري وحده، فالعنونة عند كوهن، من سمات النثر، لأن النثر يقوم على الوصل والقواعد المنطقية، أما الشعر، يقول كوهن، فبإمكانه " أن يستغني عن العنوان ما دام يستند إلى اللا إنسجام، ويفتقر إلى الفكرة التركيبية التي توحّد شتات النص المبعثر، وبالتالي قد يكون مطلع القصيدة عنواناً".
انتزاع العنوان بلفظه من النصّ، يعود تاريخياً إلى أواخر الألف الثالث وبداية الألف الثاني قبل الميلاد، فقد كان الكتبة في حضارة وادي الرافدين يُعَنونون النصوص الأدبية المدوّنة في الألواح الطينية، بانتزاع أول سطر أو أول عبارة من مستهل القصيدة يتخذونه عنواناً، مثل: (شانقبا أمورو) أي (هو الذي رأى كلّ شيء) عنواناً لملحمة كلكامش و(حينما عليش) أي (حينما في العلا) عنواناً لأسطورة الخليقة البابلية. وكان مطلع القصيدة، في أدبنا العربي القديم، عنواناً لها، ربما لأنها كانت تستند إلى اللا إنسجام باعتمادها وحدة البيت الشعري، وبعد تحوّلات الشعر العربي في العصور التالية، أصبح للقصيدة الحديثة عنوان خاص بها، يضعه الشاعر للدلالة أو الترميز، بعد أن استندت القصيدة إلى الوصل والتركيب المنطقي باعتمادها وحدة الموضوع.
وعلى غير ما يراه (كوهن)، من أن العنوان من سمات النثر، وأن الشعر قد يستغني عنه، يذهب (روبرت شولز) إلى أن العنوان قد يخلق القصيدة، ويتمثل شولز بأصغر النصوص الشعرية في اللغة الإنكليزية، وهي مرثية (مرون W.C. Merwin) :

مرثية
سأعرضها على مَنْ؟
في هذا النص القصير، بنيتان يعمل عليهما القارئ في فعل قراءته، هما: العنوان "مرثية" والسطر المتأسس على السؤال "سأعرضها على مَنْ؟" ومن دون أن يزاوج القارئ بين عنوان النص القصير والسطر الذي يليه، لن يتشكل أمام القارئ نص تام، ومن دون عنوان هذا النص الشعري القصير يبدو السؤال "سأعرضها على مَنْ؟" سؤالاً حقيقياً، لكنّ هذا السطر يؤلف مع عنوانه نصاً شعرياً تثوي دلالته في علاقة السياق بإحالة ضمير المؤنث في "سأعرضها" على العنوان لتنبعث كينونة سيميائية لنص مكتمل، يحمل في دلالته " أن شاعر الرثاء الضمني يضع في حسبانه شخصاً واحداً يعلو تقييمه على تقييم الجمهور الضمني الذي تتوجه إليه القصيدة، ويعني أيضاً أن موت هذا الشخص بعينه هو ما تصوره القصيدة ويرى الشاعر أنه لو مات هذا الشخص فسوف يموت استلهامه، فحين لن يكون هناك مَنْ يكتب لأجله، لن تولد قصيدة ". فالعنوان في هذا النص الشعري القصير، وفي سياقاته مع السطر الذي تحته، تشكلت القصيدة، فلولا العنوان ما كانت القصيدة.

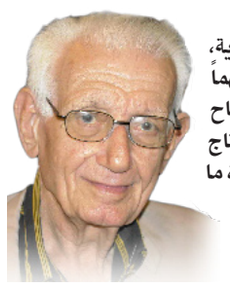

في الدراسات السيميولوجية، يكون العنوان عنصراً مهماً للنص لا زائداً، فهو مفتاح إجرائي ضروري في إنتاج الدلالة، ولن تتمّ القراءة ما لم يكن العنوان ممراً إليها، وبوعي تام لإشاراته ولدلالات تلك الإشارات.